مدينة مولاي ادريس زرهون: بين إرث الماضي وإكراهات التجديد والتأهيل الحضريين

عبد الحكيم بن عاشور وعبد الرحمان الدكاري

ملخص

ظلت مدينة مولاي ادريس زرهون لردح طويل من الزمن تستجيب بمرافقها ومنشآتها وأشكال تنظيمها الحضري لحاجيات ومتطلبات المجتمع الزرهوني رغم التحولات التي عرفها عموم التراب الوطني، وتكمن الإشكالية المطروحة حاليا في مدى ملاءمة الأشكال الموروثة المنظمة للمدينة للتحولات المجتمعية والاقتصادية والمجالية المتسارعة، ومدى مسايرتها للمتغيرات التي همت القيم الثقافية والسلوكية المجتمعية لمتطلبات الساكنة المحلية وانتظاراتها على مستوى المشهد الحضري، خاصة وأن أي عملية إعداد أو تهيئة منتظرة لا بد أن تروم مواكبة التحولات المجتمعية والسلوكية التي يعرفها المجال الزرهوني ومجتمعه.

من هذا المنطلق، تبرز مجموعة من التساؤلات حول وضعية مدينة مولاي إدريس الراهنة أمام هذه التحديات، خاصة حين يتعلق الأمر بالموروث الحضاري وتأثيره على الوظائف الاساسية للمدينة، والتي تقتضي مقاربة تنموية لتطويرها في سياق ما أصبح يصطلح عليه بالتجديد الحضري. وهو تصور، نجده في الوقت الحاضر يكتسي أهمية بالغة في تحديد درجة وعي المجتمعات بكينونتها، وحدود ومستوى ارتباطها بذاكرتها وبهويتها، وقدرتها على الابتكار والتجديد في أفق تنمية القدرة على التكيف مع المستجدات ومتطلبات الواقع الجديد.

كلمات مفاتيح:

مولاي ادريس زرهون - التجديد الحضري - التأهيل الحضري - الثرات الثقافي- تنظيم المجال.

La ville de Moulay Idriss Zerhoun:
L'héritage du passé face aux contraintes
de la rénovation et de la mise à niveau urbaine

Abderrahmane Dekkari[*]
Abdelhakim ben Achour[**]

[*]- Enseignant-chercheur, Université Cadi Ayyad, Marrakech.
[**]- Enseignant-chercheur, Université Ibn Zohr, Agadir.

Résumé

La ville de Moulay Idriss Zerhoun est réputée pour son patrimoine riche et diversifié (organisation spatiale traditionnelle, architecture ancienne moussems, mode de vie spécifique..). Cependant, cette richesse historique n'a pas favorisé la mise en place d'une politique d'urbanisation rationnelle. Aussi, la cité est confrontée aujourd'hui à des problèmes d'expansion : topographie défavorable, faible taux de réalisation des équipements collectifs…

De prime abord, l'impératif est de rénovation et la mise à niveau urbaine de cette cité, sinon de gérer cet organisme urbain, assurer les fonctions qui lui sont inhérentes et répondre positivement à des mutations sociales et aux besoins de la société locale.

Mots-clés : Moulay Idriss Zerhoun, la rénovation urbaine, la mise à niveau urbaine, patrimoine culturel, l'organisation de l'espace.

مدخل

اقتصرت معظم الدراسات التي همت المجال الحضري بكتلة زرهون على المنهج الوصفي للمعالم والمرافق والشوارع، وعدد السكان وانتماءاتهم الإثنية، والنظر إلى المدينة بوصفها عمرانا ماديا فحسب، بعيدا كل البعد عن التعامل معها باعتبارها مجالا حاويا لمكونات ثقافية واجتماعية وإبداعية كثيرة وعديدة، تشكل رصيدا تراثيا غنيا ومتنوعا، وتكتسي أهمية بالغة في تحديد هوية المدينة. لكن

متطلبات الواقع الجديد المتسم بتحولات مجتمعية واقتصادية ومجالية عميقة ومتسارعة، تجعلنا أمام اشكالية تحاول مقاربة صراع الموروث والمستحدث.

ومن ثمة يمكن اعتبار هذا المقال إسهاما في تعميق هذا النقاش، خصوصا بمجال الدراسة (مدينة مولاي ادريس زرهون) الذي يعتبر بحق نموذجا حيا لهذا الصراع.

1-- الإطار المنهجي

اعتمدنا في هذه الدراسة على مقاربة، ترد عناصرها في الفقرات الموالية:

1.1- الإشكالية

إن التراث المعماري لهذه المدينة العتيقة يعاني من الهشاشة المؤدية للتلف والانقراض، وتراجع تأثيره على الوظائف الأساسية التي كانت سبب كينونته، في وقت يمكن أن يشكل فيه رهانا حقيقيا للتجديد الحضري والتنمية الترابية في الوقت الحاضر. مما يدفع إلى البحث عن الصيغة الواجب اعتمادها لتطويره وضمان استمراريته، سواء تعلق الأمر بالمحافظة على الوظائف التقليدية (سكن، وخدمات، وتجهيزات، ومرافق...)، أو تأهيل الوظائف الجديدة (سياحة، وإيواء، وحرف جديدة، وأنشطة...). يقتضي الجواب على هذه الإشكالية، فتح البحث على فرضيتين اثنتين.

2.1- فرضيتا البحث

1.2.1– إن مجموع التحولات المجتمعية والثقافية التي شهدتها وتشهدها حاضرة زرهون، أوصلت بنية المدينة وأنسجتها العمرانية إلى وضعية من الشيخوخة والتآكل والهشاشة، يجعل مدخل التجديد والتأهيل الحضريين أمرا حيويا في الوقت الحاضر، لاستدامة المنظومة العمرانية.

2.2.1– إن مجمل المعيقات الطبوغرافية والعمرانية والبشرية، التي يطرحها الوضع الحالي يُصعب من مأمورية التجديد الحضري، على مستوى المقاربة والتخطيط والتنفيذ.

3.1- المناهج المعتمدة

تقتضي دارسة تراث المدينة تبني منظور شمولي يتأسس على البعد الزمني الكرونولوجي لفهم حقيقة التغيرات الحالية، وفهمها من خلال مدى قدرة الإنسان الزرهوني على احتواء هذا الزخم التاريخي والعيش في إطاره، والبحث عن سبل وإمكانية تنميته والرقي به نحو الأفضل، مع ضمان بعد الاستدامة الانتقائية، إذ لا يمكن أن تصلح كل المكونات الثقافية والسلوكية والممارسات الاجتماعية لكل زمان ومكان.

ولهذا الغرض تم الاعتماد على عدة مناهج:

1.3.1– المنهج التاريخي (الاسترادادي)، هو "جزء من المنهج التاريخي العام، ويقصد به القيام بوظيفة معرفية أساسية، ومهمة لاسترجاع أحداث تاريخية بطريقة علمية للكشف عن دقيقها وجليلها بغية التأكد من

صحتها، وكذا فهم ملابساتها وفقه دلالاتها".[6] وبحكم أن الظاهرة المرصودة في البحث تشكلت عبر سياق تاريخي خاص، لا يسهل فهم محصلتها وأفق تطورها في المستقبل، إلا انطلاقا من رصد السيرورة التي عرفها.

2.3.1– المنهج التوثيقي، "يجمع المنهج التوثيقيّ بين ثلاث معانٍ متكاملة: الجمع والتّحقيق والتأريخ، (...) المقصود به جمعُ أطرافِ أو أجزاءِ موضوعٍ علميٍّ ما، وإعادةُ تركيبها تركيبا علميًّا متناسقاً، بعدَ ما كانت متناثرةً بين مراجع العلم (...)، وهذا المجموع أو المركّب العلميُّ النّاتج عن عمليّة الجمع هذه، قد يكون نظريّةً علميّةً، وقد يكون كتاباً ضائعاً، تَمَّ جمعُ ملازمه من هنا وهناك، وقد يكون إنجازاً علميّاً لأحد العلماء في مجالٍ معيّن..."[7] وبذلك فإن هذا المنهج يناسب مقاربة موضوع يمتح من وثائق متناثرة ومشتتة، مثل الذي نحن بصدده.

3.3.1– المنهج الوصفي

"يهدف المنهج إلى جمع الحقائق والبيانات عن ظاهرة أو موقف معين مع محاولة تفسير هذه الحقائق تفسيراً كافياً، والبحوث الوصفية لا تنحصر أهدافها في مجرد جمع الحقائق، ينبغي أن تتجه إلى تصنيف البيانات والحقائق وتحليلها تحليلاً دقيقاً كافياً، ثم الوصول إلى تعميمات بشأن الموقف أو الظاهرة موضوع الدراسة..."[1]

وهو الأمر الذي تم من خلال الدراسات التي أنجزناها حول المدينة والمنطقة (انظر قائمة المراجع) معتمدين فيها أدوات منهجية أساسها الملاحظة والمعاينة الميدانية المستمرة.

2– المكونات التاريخية والتراثية لمدينة المولى إدريس الأكبر

تتأكد الأهمية التراثية للمدينة من خلال عمقها التاريخي والقيمة الجمالية الأصيلة لمختلف معالمها المعمارية والثقافية، وما شهدته من وقائع وأحداث شكلت مرجع ذاكرتها الجماعية. ومن ثمة، تتأكد أهمية العودة للتاريخ المحلي لمدينة مولاي إدريس زرهون، باعتباره مدخلا حقيقيا لفهم القيمة الاستثنائية لبعض المكونات التراثية للمدينة.

1.2– تاريخ المدينة: الذاكرة الجماعية والهوية المحلية

تجمع الدراسات التاريخية التي تناولت كتلة زرهون بالدرس والتحليل على أن هذه الأخيرة وفرت ظروفاً طبيعية ملائمة للاستقرار البشري منذ فترات مبكرة من التاريخ، لعل أهمها الظروف المناخية والخصائص الطبوغرافية والجيولوجية، والتي سيكون لها حتما دور أساسي في توفير المياه والأراضي الزراعية ومواد البناء (محاجر جبل زرهون). وظروف الاحتماء، وتأكد هذا الاستقرار من خلال ما

---

[6]– مولاي المصطفى الهند، (2011)، البحث الاستردادي وإشكالية الوعي التاريخي، نشر على موقع: الجريدة الإليكترونية لميثاق الرابطة المحمدية للعلماء، انظر الموقع: http://www.almithaq.ma/contenu.aspx?C=6024

[7]– صلاح عباس فقير، أضيف في هـ، 1432/12/21، الموافق 17/11/2011، راجع:
http://fiqh.islammessage.com/NewsDetails.aspx?id=3893

[1]- http://www.forum.ok-eg.com/new.php?print=1&id=24948

راكمته المجموعات السكانية التي تعاقبت على المجال من آثار لا زال بعضها شاهدا إلى اليوم على قيام حضارات غنية ومتنوعة بالمنطقة (الأمازيغ، والفينيقيون، والرومان، والعرب).

ونشير في هذا الصدد إلى أن كل ما كتب عن تاريخ المنطقة اقتصر بالأساس على ذكر موقع وليلي أو "وليلة"، ولم يرد ذكر مدينة مولاي إدريس زرهون (مجال الدراسة) إلا خلال القرن (16م). والشهادة الوحيدة التي تدل على ذلك ما أورده (ابن غازي)[1] الذي يتحدث عن "خيبر" و"تازكة" وهما اسمان لأكبر أحياء المدينة حاليا. ومن المفترض أن هذين الحيين كانا عند مطلع القرن 16م عبارة عن قريتين، يتموضع بينهما ضريح المولى إدريس الأول، إذ تشير الدراسات والأبحاث التاريخية والأركيولوجية إلى استقرار المولى إدريس قيد حياته بمدينة وليلي، في حين تختلف حول تاريخ إنشاء مدينة مولاي إدريس.

ذكرت بعض الدراسات التي همت المدينة وجود بقايا آثار رومانية كعين الحامة، وكذا العديد من النقود وقطع الفخار،[2] مما يؤكد فرضية إمكانية وجود تجمع حضري بالموقع في الفترة الرومانية.

وقد أشار الحسن الوزان إلى المدينة في بداية القرن السادس عشر قائلا: «دفن فيها إدريس، وتقدس ضريحه جميع قبائل موريطانيا تقريبا وتحج إليه، ...ولم يبق في المدينة الآن إلا داران أو ثلاث، يسكنها أولئك الذين يخدمون الضريح ويحافظون على إقامة الشعائر فيه»،[3] وهو تقريبا المنحى نفسه الذي يؤكده المؤرخ مارمول أواسط القرن نفسه، إذ يشير إلى وجود حوالي عشرين مسكنا.[4]

ونظرا للأهمية الدينية والسياسية التي أصبحت للمدينة منذئذ، وبحكم المكانة التي كانت للزوايا المستقرة بها خلال ازدهار حركات التصوف بالمغرب (ق15-16)، ودورها في تأطير واحتواء سكان الهوامش المحادية، فقد أصبح للشرفاء الأدارسة وزن روحي، يستمدونه من ضريح المولى إدريس باعتباره من آل البيت، الشيء الذي دفع بالسلطان المولى إسماعيل (نهاية ق17 وبداية ق18) إلى توسيع المركز الديني للمولى إدريس، إذ أقدم على إعادة بناء الضريح وتزيينه وإحاطته بمدرسة لتحفيظ القرآن، وأمر ببناء مجموعة من السقايات العمومية، والمحلات التجارية، كما تمم المولي يزيد ما بين (1790و1792م) بناء مسجد الخطبة الكبير ومسجد السلاسي في حي تازكة، وقام المولى الحسن الأول (1873-1894م) من بعده ببناء الحمام العمومي، وأمر المولى عبد العزيز (1894-1908م)

---

[1]- **ابن غازي العثماني، (1988)**، «الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون»، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية. ص. 13.

[2]-**P.BERTHIER, (1938),** «Essai sur l'histoire du massif de Moulay Idriss, de la conquête musulmane à l'établissement du protectorat français». Ed, Félix MANCHO, Rabat., p. 104.

[3]- **الحسن بن محمد الوزان**، «وصف إفريقيا»، الجزء الأول، مكتبة الطالب، الرباط، ص. 228.

[4]- **مارمول كربخال**، (1988-1989)، «إفريقيا»، الجزء الثاني والثالث، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط.

بتزويد المدينة بقنوات مياه الشرب.[5] وشيدت بالمدينة فيما بعد مرافق متعددة تنتظم حول المرافق السابقة، فجاءت المدينة تحفة معمارية تشمل كل المرافق الضرورية للحياة، وتكاثر الوافدون عليها من مناطق شتى.

وتجدر الإشارة في هذا الإطار إلى أن تاريخ المدينة حضريا يرتبط ارتباطا وثيقا بالضريح الذي تحتضنه، مما يبعث على القول بأن العامل الديني يعتبر من أهم العوامل في نشأة المدينة وتطورها. والملاحظ أن نفوذ الزاوية الإدريسية قد ظل محدودا حتى القرن 18م، اذ يرى بيرتيي (BERTHIER P., 1938) أنه "مع المولى اسماعيل، دخلت زاوية زرهون إلى التاريخ، فقد خرجت من الظل، لتأخذ مكانتها بين أكبر الأضرحة الإسلامية المغربية".[6]

أضحى نفوذها الروحي يمتد إلى ما وراء الحدود الوطنية، وكانت هناك عوامل عديدة ساعدت على هذا التوسع والشهرة. فضعف السلطة المركزية أمام مواجهة العدوان النصراني قرب الشواطئ المغربية، وخاصة الاعتداءات البرتغالية والإسبانية، دفع بالسكان إلى الالتفاف حول الأولياء والدعاة الذين أصبحوا ينظمون ويوجهون حركة الجهاد. كما أن الدولة العلوية كانت في بداية نشأتها تبحث عن الدعم الديني لتبرير مشروعية حكمها، فوجدت ضالتها في هذه الزاوية، فكان اهتمامها بها وسيلة لتوسيع نفوذهم الديني والعقائدي.

ولعل هذا ما يؤكد مواكبة المدينة بصفة خاصة لكل التحولات السياسية، والدينية، والاقتصادية التي عرفها المجال المغربي عامة. عكس ما ذهب إليه برتيي (BERTHIER P., 1938) حين اعتبر أن "تطورها التاريخي سار وفقا لمسلسل خاص وفريد، وعاشت منعزلة عن الأحداث الكبرى لتاريخ المغرب".[7] وهو نفس الأمر الذي يؤكده تيراس (TERRASSE H.) قائلا ظل "زرهون مشابها لنفسه ومحافظا على أشجاره وقراه"،[8] لكن استقبال المدينة واستيعابها للعديد من الوافدين الفارين من حالات الاضطرابات والقلاقل التي شهدها المغرب عبر سيرورته التاريخية، كان في حد ذاته، من الوسائل التي أسهمت بها كتلة زرهون عموما ومدينة مولاي إدريس زرهون خاصة، في الاضطلاع بأدوار طلائعية في تاريخ المغرب.

ومن المؤكد إذن أن المدينة، قد أثرت وتأثرت بكل ما حولها، مستفيدة من مؤهلاتها الطبيعية وغنى محيطها القروي، ومكانتها الدينية، واستطاعت في نفس الوقت استيعاب توافد العديد من الهجرات التي

---

[5] - **M.MAKDOUN, (2008),** «Essai sur les potentialités touristiques du Massif du Zerhoun». Texte manuscrit, p20, inédit.

[6]- **BERTHIER P. (1938), o**p, cit. p.114

[7]- **Idem,** p. 25.

[8]- **TERRASSE H. (1938),** dans la préface du livre de BERTHIER.P. p. 11.

كان لها بالغ الأثر في تشكيل الأصول العرقية المختلفة للزراهنة حاليا. وهذا ما دفع كل من دريش (DRESCH J. 1930)،[9] وبيرتيي (BERTHIER P. 1938) من بعده[10] بوصفها بالمتحف الاثنوجرافي.

وخلال النصف الثاني من القرن 19م وبداية القرن 20م كانت وجهة لمجموعات قبلية من مختلف جهات المغرب، أرغمتها ظروف معينة على مغادرة مواطنها الأصلية والاستقرار بكتلة زرهون، وضع كان له تأثير كبير على مستوى توسع وتطور المدينة، وكذا المراكز والقرى المجاورة.

من خلال الإطار التاريخي للمدينة، يمكن أن نخلص إلى أن أسس قيام مدينة مولاي إدريس زرهون هي أسس سياسية ودينية في آن واحد، ذلك لأنها قامت بأدوار تاريخية لا يمكن للمهتمين بتاريخ المغرب إغفالها. فوظيفتاها السياسية والدينية جعلتها تتبوأ مكانة خاصة عند ملوك الدولة العلوية. لكنها بدأت حاليا تفقد إشعاعها الديني، أمام تزايد أهمية بعض الزوايا بشكل لافت حاليا، كالزاوية البودشيشية بالمغرب الشرقي. وأمام بعض الفضاءات الدينية المجاورة والمتمثلة في الزاوية الحمدوشية بسيدي علي بن حمدوش[11] (بني جناد) ومحيطها. ولم يبقى من رصيدها سوى إرثها المعماري والثقافي عموما الذي لا زال يزاوج بين: الوظيفة الدينية وما لها من تأثير على الوظائف الأخرى الثقافية والاجتماعية، والوظائف السياحية الترفيهية بمختلف فروعها.

2.2- التراث المعماري للمدينة الاسلامية

نقتصر في حديثنا ولاعتبارات منهجية على التراث المعماري للمدينة، والذي يبقى ذو أهمية بالغة في سياق حديثنا عن إشكالية التجديد الحضري، فرغم الغموض والشمولية اللذان يكتنفان المفهوم، إلا أن مقاربة الموضوع تفرض التركيز على الجوانب المادية بالدرجة الأولى في عملية التجديد هاته. إذ لا يمكننا بأي حال من الأحوال التركيز على العناصر اللامادية للتجديد، والتي يتطلب ضبطها والتحكم فيها مقاربة تختلف عن طبيعة المقاربة المعتمدة في هذا الموضوع.

تعتبر مدينة زرهون نموذجا للمدن الاسلامية المتميزة بعمارتها الخاصة، إذ نجدها تتهيكل حول المركز (ضريح المولى ادريس)، وحوله تتمحور مختلف المرافق والمنشآت الأخرى، والتي يمكن تصنيفها إلى معمار ذي:

- وظيفة دينية: ويشمل الأضرحة (ضريح المولى ادريس)، والمساجد والصوامع التي تتميز بمعمارها الفريد.

---

[9]- **DRESCH J. (1930),** «Le massif de Moulay Idriss», étude de géographie. Annales de géographie, p. 510.

[10]- **BERTHIER P. (1938),** op. cit. p. 143.

[11]- **عبد الرحمان الدكاري، (2013)**، «التظاهرات الدينية والثقافية الدخيلة بالمجالات التقليدية المتأزمة ومحدودية التنمية، نموذج كتلة زرهون»، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو حول موضوع: المواسم و المهرجانات فضاءات لتثمين الموروث الثقافي، أشغال الدورة الرابعة و العشرون، ص 144 .

– وظيفة سوسيواقتصادية: يتجسد من خلال الدكاكين، والمقاهي القديمة، وورشات النسيج (الدرازة) والخياطة، ومعاصر الزيتون، والأزقة الضيقة والمتقاربة، والسقايات... الخ.

– وظيفة سكنية: يبرز من خلال دور الفئات التقليدية الميسورة، حيث "كانت المساكن القديمة التي هي في ملكية أغنياء المدينة شبيهة برياضات العواصم المغربية التقليدية"،[12] وهي عبارة عن منازل كانت تزين بالفسيفساء والزليج، وكانت هندسة المسكن خاضعة لتصميم يجمع بين البعد الجمالي والوظيفي، وكلها أشكال تمتاز بدقة التصاميم الهندسية، تؤدي وظائف محددة إلى جانب جمالية الأشكال والألوان.

ويعتبر ضريح المولى إدريس أحد أبرز هذه المكونات، إذ يشكل نواة المدينة، ونقطة الوصل بين كل الأحياء. فلكل حي درب كبير يتجه صوب المسجد والضريح، كما يشكل هذا الأخير بمرافقه المتعددة مركبا ضخما يحتل مساحة هامة من المدينة، إذ يشمل: قبة الضريح، والمسجد الكبير، ودار الزاوية، والمدرسة، وضريح المولى راشد، والقصر الملكي، والساحات (المزارات) لاستقبال الزوار، مشكلا بمعماره المتميز وزخرفته الاسلامية وشكله الهندسي أحد أبرز المعالم المعمارية بالمغرب.

ومن الملاحظ أن مدينة مولاي إدريس زرهون لم تحظ بأسوار أو أبراج على غرار العديد من المدن التاريخية، ولعل ذلك راجع بالأساس لموضعها الجغرافي المنيع الذي يوفر لها حماية طبيعية،[13] حيث تم بناء المدينة فوق صخرتين شديدتي الانحدار، فكان شكل المساكن كثيفا، ومتشابكا، مع وجود سبعة أبواب –البعض منها هدم في فترات سابقة، والبعض الآخر ما يزال ماثلا إلى يومنا هذا– تحدد من خلالها مداخل الأحياء الرئيسة. (أنظر الخريطة)

أما الأحياء الصغرى فنجدها تتسلق الجبل بممراتها المتعرجة والمظلمة (ممر صريبو وممر الحمام الجديد...) وأدراجها الكثيرة، التي تمنح المدينة مرفولوجية خاصة.

---

[12]– **الحسن بن محمد الوزان، (1980)**، المرجع السابق نفسه، ص. 228.

[13]- Wahbi Driss, (1984), «Moulay Idriss Du Zerhoun: Evolution d'une petite ville traditionnelle en crise», Thèse de 3ème cycle en Géographie, Université de Tours. P. 14.

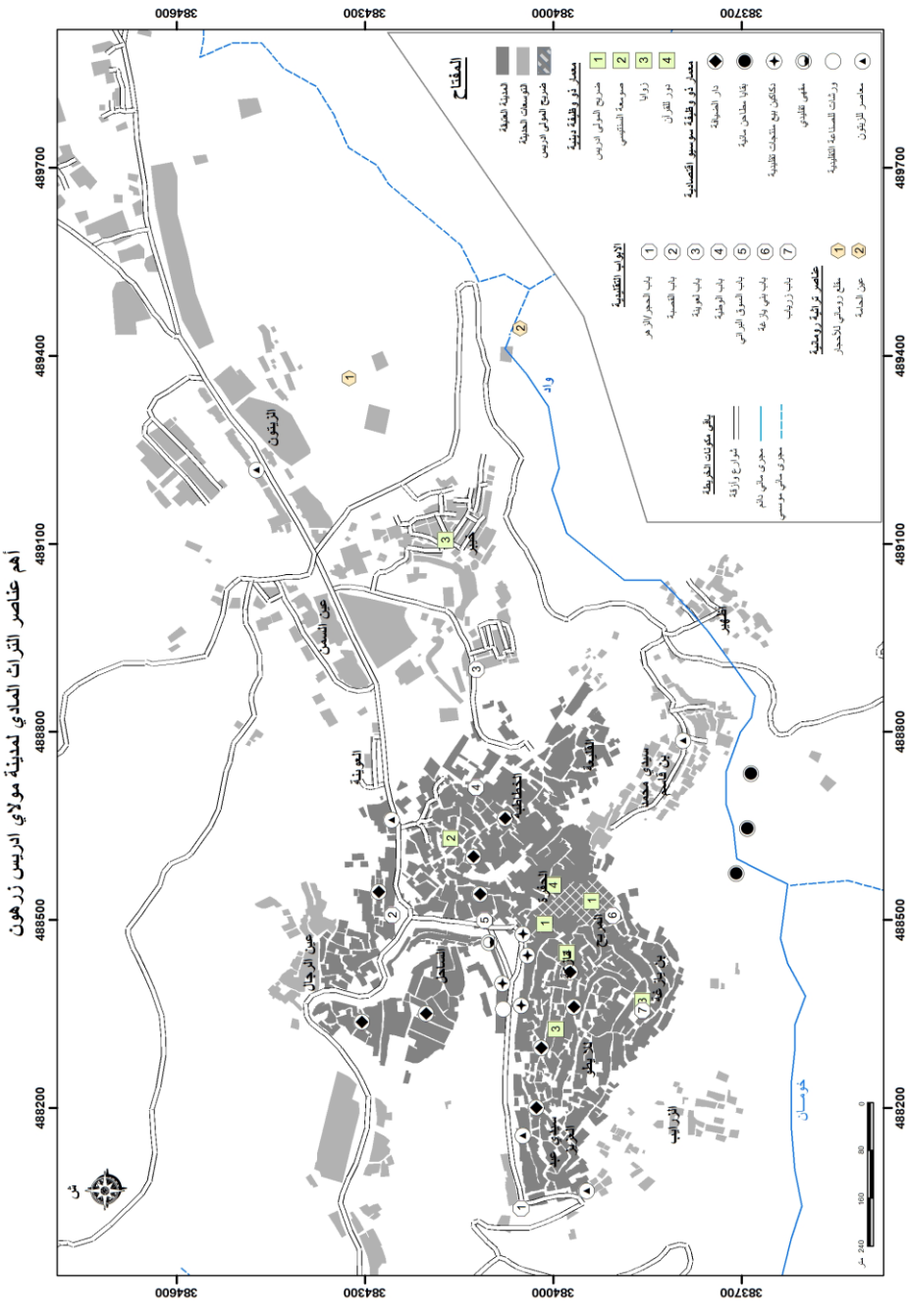

لقد ظلت معظم هذه البنيات ولفترة طويلة من الزمن تستجيب لمتطلبات المجتمع الزرهوني، إلا أن التساؤل الذي يطرح حاليا هو مدى ملاءمة هذا المعمار التقليدي للتحولات المجتمعية والاقتصادية، والمتغيرات التي همت القيم الثقافية والسلوكية، وكيفية التوفيق بين اتجاهات المحليين التي تتعامل مع هذا التراث بمرجعيات مختلفة:

– اتجاه أول: يدعو إلى المحافظة على كل مقوماته التقليدية –من حيث الشكل ومواد البناء والوظيفة– وجعله أداة للتأريخ، ووسيلة للكشف عن هذا التاريخ.

– اتجاه ثاني: يدعو إلى ملاءمة المعمار مع التحولات المجتمعية والاقتصادية، والمتغيرات التي همت القيم الثقافية والسلوكية.

– اتجاه ثالث: يدعو إلى ضرورة التوفيق بين المعطيين، وينادي بإدخال تعديلات، تأخذ بعين الاعتبار الحمولة التاريخية والبعد الجمالي، حتى لا تتحول إلى مبان غريبة ودخيلة، وحتى لا يضمحل طرازها المتميز ويحافظ على أصالته.[14]

إن إمكانية انقاذ المعمار العتيق للمدينة من منازل عتيقة، ونسيج حضري، ومرافق خدماتية، واستعماله اقتصاديا، من شأنه أن يشكل مصدرا للعديد من الأنشطة. نتحدث هنا عن مقاربة لا تعتبر العناصر المعمارية مكونات جامدة فحسب، بل جزءا من هوية المدينة ومصدرا وظيفيا مهما، ومكونا من مكونات ثقافتها المحلية، التي تميزها عن باقي المجالات المجاورة.

لكن ما يعيق هذا التصور، ويدفع بالكثير من الفاعلين إلى النزوع نحو اتجاه التجديد الكلي أحيانا لمكونات المجال، هي الوضعية التي تعانيها عناصر عديدة من المعمار الحضري. إذ نجدها تعاني التدهور الناتج عن سوء العناية والعشوائية في التدبير، فالعديد من المباني تجاوزت القرن من الزمن، مما يجعل بعضها مهددا بالانهيار، وتتفشى الظاهرة بشدة في كل الأحياء المحيطة بالضريح. وكذلك الأمر بالنسبة للمساكن المشيدة فوق الأجراف الصخرية المطلة عليه، بحيث إن المجال الذي بنيت عليه لم يخضع لأية دراسة أو تصاميم مسبقة، مما يطرح عدة تساؤلات حول فعالية التدبير العمومي. فإشكالية البنايات الآيلة للسقوط أصبحت من الأولويات في سياسات تخطيط وتهيئة المدينة، لما لها من انعكاسات، سواء على مستوى سلامة المواطنين أو جمالية المدينة ومشهدها العام.

كما أن عمليات الترميم التي عرفتها مجموعة من المباني التراثية للمدينة، والتي كانت في معظمها بمبادرة من المالكين الخواص، لم تأخذ بعين الاعتبار المعالم الأصلية لهذه الأخيرة، مما أدى إلى تشويهها، وبالتالي افقادها لطابعها الأصلي، وخصوصيتها المحلية التي أكسبتها قيمتها التراثية والجمالية.

إن عملية التشويه المعماري التي تتعرض له العديد من فضاءات المدينة العتيقة، تختزن جانبا من جوانب ضعف آليات التوجيه والتخطيط والمراقبة، مما يهدد بقوة استدامة رموز الثقافة والشخصية المحليتين باعتبارهما من الدعامات الأساسية للمنتوج السياحي.

---

[14]– **عبد الرحمان الدكاري و عزيز بن الطالب،** (2011)، «التراث المعماري بكتلة زرهون بمقدمة جبال الريف. الذاكرة المجالية ومظاهر التحول». مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، العدد 16، 2012–2013–2014، ص. 58.

3- متطلبات التجديد الحضري بمدينة مولاي إدريس زرهون

التجديد الحضري باعتباره ممارسة لا يشكل توجها جديدا على مستوى الحقل المعرفي والإجرائي، إذ لطالما أعتمد كتوجه نظري من قبل الإنسان منذ ظهور المدن في محاولة منه للتكيف مع المستجدات والتحولات المتسارعة من حوله، فهي عملية ترميم الأبنية وتكييفها وفق متطلبات الحياة المعاصرة،[15] بمعنى آخر تغير على المستوى الوظيفي لمرافق ومنشآت المدينة لتستجيب لمتطلبات جديدة ومستقبلية تحت تأثير التغيّر الاجتماعي والتكنولوجي المتسارع. ولا يمكن للإنسان أن يتجاهل ما تعانيه فضاءات ومنشآت عديدة بالمدن العتيقة من عشوائية وتدهور، كان تدخل الإنسان سببا فيها، وما يزال.

1.3- التجديد الحضري لزرهون: المشاكل المجالية

يبدو أن تأمل المشهد الحضري لمدينة المولى إدريس الأكبر يثير مجموعة من التساؤلات الجوهرية والملحة عن كنه استمرارية العمارة التقليدية كعناصر حضارية ثقافية ممتدة عبر الزمن، لكن بالمقابل وفي إطار المتغيرات المعاصرة بات من الضروري إعطاءها تصورا جديدا كي تواكب وتستجيب لمتطلبات العصر، كشرط أساسي لضمان استمراريتها. نحن إذن مطالبين ببلورة نظرة جديدة إزاء حاضرتنا العتيقة هاته، تسمح بصيانة خصوصيتها وهويتها للمحافظة عليها للأجيال المستقبلية ولتستجيب في الوقت نفسه لمتطلبات العصر.

فمدينة مولاي إدريس زرهون وعلى غرار العديد من المجالات العتيقة ببلادنا، لا زالت تعاني من مشاكل كثيرة ومتفاقمة، تزداد مع مرور الأيام، وتجعلها في أمس الحاجة إلى معالجات سريعة ترقى بها إلى مستوى تطلعات ساكنتها، ويمكن حصرها فيما يلي:

1.1.3- مشاكل تنظيمية: تتمثل في تغيير المشهد الحضري عبر توسع الأحياء العشوائية المستحدثة، وتشتت الكتلة الحضرية المتماسكة للمدينة العتيقة، وبالتبع اضمحلالها وتلاشيها بشكل تدريجي، وتشويه المشهد العام للنسيج ككل، مما أدّى إلى فك ارتباط السكان وظيفيا بالمدينة القديمة. وذلك نتيجة الضغط السكاني الذي تعرفه من جهة، وافتقارها لسنوات عديدة إلى تصميم التهيئة[16] وضعف مراقبة الجهات الوصية لقطاع التعمير من جهة أخرى. كل هذا أسهم بشكل كبير في اختلال التوازن بين المساحات المبنية والفضاءات المفتوحة، وانتشار أحياء لا تتوفر على الشروط والمعايير الأساسية للسكن اللائق (أضهيير، واد الميت، الزرايب...)، بالإضافة إلى افتقارها إلى التجهيزات الأساسية المرتبطة بالصرف الصحي وجمع النفايات الصلبة والولوجيات.

---

[15]- **فرحات عبد الله و طارق فدك**، (1992)، «نحو مبادئ متكاملة لتخطيط وتصميم المنطقة المركزية لمكة-المكرمة»، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، المجلد الرابع. ص6.

[16]- ظلت المدينة تشتغل بتصميم التهيئة لسنة 1982 الى حدود سنة 2010، تاريخ اعتماد التصميم الحالي، مما يعكس جانبا من سوء التدبير الناتج عن عدم مواكبة التخطيط الحضري للتطور الذي تعرفه المدينة.

– مشاكل بيئية: إنّ الكثير من الدور القديمة في مولاي إدريس زرهون غير ملائمة للسكن نظرا لعدم مسايرتها لمتطلبات السكن الحضري الجديد، فضلا عن صعوبة ترميمها لموقعها المعقد ضمن المركز القديم للمدينة. إضافة لمشاكل شبكة الصرف الصحي بالمدينة التي تعاني من اختناقات تؤدي إلى تسرب المياه تحت الأحياء السكنية، وتلويثها للأزقة والدروب. وضع يمكن إرجاعه بالدرجة الأولى إلى قدم هذه الشبكات وتلاشي بعض أجزائها، إذ لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تساير النمو الديموغرافي والعمراني للمدينة، إضافة إلى غياب الصيانة الضرورية والسليمة.[17] إلى جانب ذلك تطرح إشكالية النفايات الصلبة بشكل جلي نتيجة غياب مطرح قار للنفايات، مما يدفع بمدبري الشأن المحلي إلى التغاضي عن المطارح العشوائية التي تنتشر بجنبات الوادي وعلى طول المحور الطرقي الرابط بين حي خيبر ونقطة تقاطع حي سيدي محمد بن قاسم مع حي الضهيير.

2.1.3– مشاكل تجهيزية: **إن** التعقيد الحاصل في منظومة الحركة داخل المدينة، وصعوبة الولوج لمجموعة من المرافق والمؤسسات عبر الأزقة والممرات الضيقة، والتي تعاني من اختناقات خصوصا في فترة المواسم الدينية،[18] زد على ذلك قلة مواقف السيارات وضعف تنظيمها، خصوصا بالساحة المركزية وساحة خيبر ومداخل المدينة.

كلها عناصر تسيئ للمشهد الحضري لمدينة مولاي إدريس زرهون باعتباره عنصرا مجاليا كان يقدم تنظيما متكاملا ومتماسكا لكل مضامين العلاقات التي تجمع كافة عناصر المدينة المادية والفكرية.

2.3– مشروع التجديد الحضري: التحديات الواجب مراعاتها

إن محاولة إيجاد تصور جديد لتدبير الشأن المحلي بالمدينة مبني على مفاهيم العقلنة والنجاعة والبعد المستدام، يقتضي منا مساءلة كل العوامل التي كانت سببا في وصول المدينة إلى حالة أزمة، بعد أن كانت نموذجا حضريا متميزا يمتد إشعاعه إلى التراب الوطني بكامله. ولكي يكون لهذا التصور ما يجعله يقارب الموضوعية المجالية، لا بد من استحضار ومساءلة هاته العوامل والتي من أهمها: تاريخ المدينة، وموضعها الجغرافي، ومؤسسات تدبير الشأن المعماري والتراثي بها.

---

[17]– **عبد الحكيم بن عاشور و محمد أبهرور، (2015)**، «كتلة زرهون بين اكراه تدهور البيئية المحلية ورهان استدامة الموارد الطبيعية»، مجلة دراسات وأبحاث في التاريخ والجغرافية، منشورات الكلية متعددة التخصصات بتازة. ص. ص. 161-179.

[18]– موسم زرهون يعد من أكبر المواسم الدينية بالمغرب، وأكثرها شهرة، وامتدادا في الزمن، ينظم طيلة شهر كامل، وتحج إليه مختلف الزوايا (العَلَمية والعلوية والعيساوية والدرقاوية والحراقية والكتانية)، وكذا قبائل من مختلف مناطق المغرب (بني مطير الحاجب، وعرب سايس، وبني احسن، وزمور الخميسات)، تيمنا ببركته، وخاصة في فترات الجفاف. حاليا يتم الاحتفال وفق ثلاثة محطات تسمى الأولى بموسم العلميين الذي يعرف باسم "الموسم الصغير"، والثانية بـ "الموسم الكبير" والثالثة بـ "مواسم القبائل".

• يعتبر التاريخ من أهم هذه العوامل على الإطلاق، ذلك أن مدينة المولى إدريس كانت منذ نشأتها تحافظ على توازناتها السوسيواقتصادية في تناغم مع إمكاناتها المتاحة، لكن ومع بداية التوغل الاستعماري للمغرب، عرفت المدينة مجموعة من المشاكل يمكن تلخيصها في:

1.2.3- تهميش المدينة: يأخذ عنصر التهميش بعده الحقيقي من طبيعة البنيات الطرقية المحدثة، والتي تخترق كتلة زرهون دون أن تستفيد منها المدينة في شيء، كما أن الاستعمار أحدث مراكز قياداته في المدن المجاورة وأنشأ لهذا الغرض أحياء عصرية بكل من مدينة مكناس وفاس وسيدي قاسم، الشيء الذي جعل من الكيانات الاستعمارية الجديدة أماكن تطورت بها بعض الصناعات، وازدهرت بها التجارة، وتغيرت أشكالها الهندسية والمعمارية وأصبحت أكثر استجابة لمتطلبات الاستعمار الفرنسي ولاقتصاده.

2.2.3- استصدار قوانين للحد من توسع المدينة: وهنا إشارة واضحة للقوانين التي استصدرت في بداية التمركز الاستعماري بالمنطقة والقاضية بإحاطة المدينة بنطاق غير مبني يصل مداه إلى شعاع 2.5 كلم، يفصلها عن المدينة الأثرية وليلي، والتي تعد في الظرف الراهن من بين أهم المعالم التي تستأثر باهتمام السياح المحليين والعالميين.

3.2.3- جعل المدينة حبيسة البعد الديني ومؤسساته: قد يبدو هذا الطرح مجانبا للصواب، خاصة إذا علمنا –وهو ما سبقت الاشارة إليه– أن المؤسسة الدينية المرتبطة بالضريح وكل ما يدور في فلكها، كانت هي منشأ هذا التجمع السكني، لكن سياسة العديد من السلاطين الذين تعاقبوا على المغرب والدين أحاطوا المدينة وزاويتها بظهائر التوقير والاحترام، جعل المدينة مرتبطة ارتباطا عضويا بالضريح والزاوية، وهو الأمر الذي اعتمد عليه المستعمر الفرنسي حين بداية تغلغله بالمجال المغربي، حيث حرم على الأجانب من غير المسلمين اقتحام حرم الضريح، وأحاط المدينة بهالة دينية في إطار السياسة التي تبناها الجنرال اليوطي في بداية عهده، والمتمثلة في السياسة الأهلية الرامية إلى عدم المساس بالمقدسات الدينية من زوايا ومساجد وأضرحة، كما أن استمرار الموسم الديني المرتبط بضريح المولى إدريس الأكبر في الاحتفاء بزوايا التصوف الديني، كرس قناعات لدى العديد من القبائل المغربية بقدسية المكان.

• يتبين أن المعطيات التاريخية وحدها لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن تكون هي التفسير الوحيد لحالة الأزمة التي تعاني منها المدينة، فطبوغرافية المدينة في حد ذاتها تعتبر في نظر المحليين عائقا أما إمكانية التوسع.

4.2.3- موضع المدينة: إن تموضع المدينة فوق مرتفعات صخرية شديدة التضرس يجعل إمكانية التوسع لا تتم إلا في حدود هذا النطاق، وإذا أضفنا لذلك منع التوسع في الهوامش السهلية المحيطة بالمدينة الأثرية المشار إليه سابقا، فإن الأمر يزداد تعقيدا.

5.2.3- تراجع الاقتصاد المعيشي: إن الاقتصادات المحلية التي كانت تعتمد على المنتجات الفلاحية وبعض الصناعات التقليدية ومعاصر زيت الزيتون لتلبية حاجيات الساكنة المحلية بالدرجة

الأولى وتصدير الفائض إلى المناطق المجاورة، لم تعد لتستجيب لحاجيات الآلة الرأسمالية الهادفة إلى البحث عن الربح ومنطق المنافسة، مما دفع بالكثير من السكان للهجرة نحو مجالات أخرى. نزيف بشري كبير رافقه أيضا نزيف على مستوى الرأسمال، ونزيف في المهارات والمعارف، ولعل ما يبرر ذلك هو الحصيلة الديموغرافية من بداية الفترة الاستعمارية إلى الآن، والتي تضاعفت مرة واحدة خلال مئة سنة،[19] في حين عرفت المدن المجاورة التي كان عدد سكانها بالكاد يوازي أو يقل بقليل عن ساكنة المولى إدريس تضاعف ساكنتها مئات المرات وتوسعا عمرانيا كبيرا.

6.3.2- غياب مؤسسات اقتصادية عصرية: أول ما يثر انتباه أي دارس للمجال الزرهوني هو غياب مؤسسات اقتصادية عصرية تستجيب لحاجيات السوق الحالية ولمتطلبات التزايد السكاني، وبالتالي لمتطلبات سوق الشغل، مما يجعل المدينة تعيش على مداخيل ضعيفة جدا، ويلجأ مسيرو المجالس المنتخبة باستمرار إلى الاقتراض، وهو الأمر الذي يساهم في ارتفاع منسوب الهجرة نحو باقي المجالات المجاورة، ناهيك عن تخلي المحليين الذين راكموا ثروات خارج المدينة عن العودة والاستثمار بها.

- تعتبر أشكال تدبير الشأن المحلي أيضا من أهم معيقات التجديد الحضري، وهو وضع غير مرتبط فقط بالخصوصية المحلية لمدينة المولى إدريس، لكن حين تتظافر عوامل غياب رؤى استراتيجية للنهوض بالفضاء الحضري، وطغيان المصلحة الخاصة، وضعف العائدات، فإن الوضع سيزيد الأزمة استفحالا، وسيحد من إمكانية النهوض بالمدينة. كما أن الأمر هنا غير مرتبط بالمنتخبين فحسب، بل يشمل أيضا مؤسسات أخرى، ولعل من أهمها نظارة أوقاف زرهون، ومدبري الشأن الديني للضريح، والمجتمع المدني.

7.3.2- آليات تدبير الشأن المحلي بالمدينة: تعيش مدينة زرهون على مستوى تدبير الشأن الجماعي معضلة كبيرة تتمثل في تواتر قيادات جماعاتية لا تمتلك مشاريع واضحة للنهوض بالمدينة معماريا وتراثيا، ومع كل مجلس جماعي يتوسع المعمار المحلي على حساب الفراغات الممكنة بداخل المدينة على قلتها وضيق مساحتها وعدم ملاءمتها. ولعل من أهم نماذج هذا التوسع ما حصل في الحيز الفاصل بين حي عين السمن والعوينة حيث تم تشييد العديد من الدكاكين والمقاهي على حساب أكمة كانت تستعمل كموقف للسيارات بدون دعامات للسور المحيط بها، مما يهدد بإمكانية حدوث كوارث في المستقبل، إضافة إلى التوسع غير المهيكل الذي تعرفه جنبات المحطة الطرقية الحالية، والبناء بحي خيبر بالقرب من دار الشباب التي تتعرض جنباتها المطلة على الواد للانجراف والتآكل رغم الاصلاحات التي همت الصرف الصحي المسؤول عن ذلك. ويعتبر إنتاج نخب محلية[20] لا

---

[19]- بلغ سكان المدينة سنة 1914حوالي 6739 نسمة، وبعد مئة سنة أي سنة 2014 لم يتجاوز العدد 11615 نسمة.

[20]- **عبد الرحمان الدكاري وعبد المجيد هلال و سعيد بوجروف، (2014)**، «تدبير الشأن الجهوي بالمغرب: دور النخب وإشكالية الحكامة الجيدة». في: الجهوية المتقدمة بالمغرب: الحكامة الترابية ورهان التنمية المحلية. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس سايس، سلسلة الندوات رقم 34، ص. ص. 277-308.

تمتلك برامج واضحة نتاجا طبيعيا لاستغلال فقر وجهل السكان وتغليبهم للمصلحة الآنية على المصلحة المستقبلية.

8.3.2- المؤسسات المسؤولة عن تدبير التراث: تمتلك نظارة الأوقاف بالمدينة معظم المباني التي يمكن تصنيفها تراثا محليا، لكن وبفعل ضعف السومة الكرائية للعديد منها وبالتبع ضعف مردوديتها، وعدم انخراط مؤسسات أخرى كوزارة الثقافة في حماية هذه المباني التراثية، فإن الوضع القائم يبقى هو القاعدة، وإذا أضفنا لذلك التغيرات العديدة التي تهم المباني التراثية التي هي في ملك الخواص على مستوى الشكل ومواد البناء والمظهر الخارجي، فإن الوضع يزداد سوءا أكثر فأكثر.

9.3.2- النخب الدينية: يُسهم مدبرو الشأن الديني للضريح أيضا في تثبيت مجموعة من القيم والسلوكيات التي لم تعد تتماشى ومنطق الظرفية الراهنة، والمتمثلة في الإبقاء على الطقوس المرتبطة بالضريح من زيارات ومواسم على شاكلتها القديمة، بعيدا عن كل مظاهر التجديد الرامية لتشجيع الاستقطاب وتحريك عجلة الأنشطة الاقتصادية المرتبطة بذلك، وخلق أنشطة موازية لديمومة الرواج السياحي/الديني.

10.3.2- المجتمع المدني: تتعدد مؤسسات المجتمع المدني بالمدينة بشكل ملفت للنظر، وتتعدد اهتماماتها، إذ تشمل كل مناحي الحياة، لكن هامش الفعل لديها يبقى ضعيف التأثير، ومحصورا في بعض القضايا التي لا تفيد التجديد الحضري والنمو الاقتصادي. كما أنها تولي جهدها للبنيات الفوقية من شعر ومديح أكثر مما توليه للبنيات التحتية والتجهيزات القاعدية، وأيضا للبحث عن سبل الرقي بالمدينة حضريا والمجتمع اقتصاديا نحو الأحسن. كما أن هناك جمعيات أخرى تهتم بالشأن المحلي، مقراتها خارج المدينة وبرامجها تصاغ بمنطق بعيد كل البعد عن متطلبات الساكنة والمجال الزرهونيين، كما أن أنشطتها تتسم بالموسمية والبهرجة، ومنطوق التوصيات التي تروج لها والمتسمة بالعموميات والبعيدة عن الأجرأة.

3.3- أي تجديد حضري؟ لأي مدينة؟

لقد تبين مما سبق أن التاريخ والبعد التراثي للمدينة يشكل أساس كينونتها واستمراريتها، لذلك أصبح التركيز على هذين البعدين معا في أي عملية تنموية للمدينة أمرا جوهريا ومحوريا في غياب بدائل ممكنة لتحقيق ذات الغاية.

ومن هذا المنظور، لابد من الإشارة إلى مجموعة من القضايا التي يمكن أن تشكل مدخلا مهما لتحقيق التجديد الحضري الهادف والمستدام.

1.3.3- تجاوز الخطابات العاطفية حين الرغبة في بناء مشروع حضري شامل وهادف: سنحاول في هذا الصدد التركيز على نقطتين أساسيتين، أولهما دعوة الكثيرين إلى مراجعة بعض القوانين التنظيمية للمجال التي تهدف إلى عزل المدينة الأثرية لوليلي عن التوسع العمراني لمدينة المولى إدريس الأكبر، وهو طرح قد يبدو من حيث الشكل مقبولا، لكن حين التمعن في حيثياته سنجد أن كل

الداعين لهذا الإجراء لا يتوفرون على تصور واضح المعالم لمشاريع تنموية بديلة، ويعتبرون أن زحف الإسمنت على المجال السهلي المجاور هو السبيل لإخراج المدينة من تقوقعها المجالي، لكن وفي إطار الدراسات الجغرافية المقارنة، هناك العديد من المدن في منطقة حوض المتوسط وفي باقي مناطق العالم، بل وهناك عواصم دول توجد فوق ارتفاع 4000م، ولها الخصوصيات الجبلية نفسها، واعتمادا عليها استطاعت أن تحتضن مشاريع تنموية تتلاءم وهذه الخاصية. من هذا المنظور فإن المراهنة على التوسع على حساب مجال مصنف تراثا عالميا، وفي غياب بنيات اقتصادية بديلة قادرة على الرقي بالمدينة وتوفير أنشطة مدرة للدخل، سوف لن يزيد المجال إلا تأزما. أما النقطة الثانية التي يركز عليها البعض الآخر في اقتراحاته، والتي لا تغدو أن تكون مجرد حنين لفترة من الفترات الفائتة، والمتمثلة في التنديد بهدم الأبواب التي كانت تؤثث فضاء المدينة والمطالبة بإعادة إحياءها وبنائها، فهو أمر مجانب للصواب، وحتى لو افترضنا ذلك ممكنا فهل سيعاد لهذه الأبواب بعدها التراثي والوظيفة التاريخية التي أنشئت من أجلها؟

لذلك كله فالمراهنة يجب أن تركز أساسا على التراث الحالي الماثل والمحافظة عليه وصيانته واستغلاله اقتصاديا، ويمكن اعتبار ذلك من الإجراءات الكفيلة بإعادة إحياء المدينة واعادة إحياء إشعاعها وديناميتها المفقودة.

2.3.3- الفاعلون المحليون وضرورة تجديد النخب: من أهم الملاحظات التي تستأثر باهتمام كل المتتبعين للشأن المحلي الزرهوني، هي أن أزمة المجال الحضري حاليا هي انعكاس لطبيعة التمثلات والبرامج والتصورات التي تفرزها النخب المسيرة. ففي ظل تغليب المصالح الخاصة على مصلحة المجتمع، وفي ظل غياب قناعات معقلنة وعلمية تترجم إلى برامج إجرائية لتغيير حالة الأزمة، وفي ظل أزمة تعليمية واقتصادية خانقة لأغلب شرائح المجتمع الزرهوني وإفرازهم لنخب تفتقر لرؤى ومشاريع تستحضر البعد التنموي للمدينة، فإن استمرارية حالة الأزمة لها ما يبررها. إلى جانب ذلك هناك أيضا قوى محافظة بالمدينة تستمد شرعيتها من المؤسسات الدينية التي تنتمي إليها، تعتبر مسألة التغيير والتجديد لا تصب في مصلحتها الاقتصادية، وهو طرح مخالف للسيرورة التاريخية ولمفهوم التقدم، ذلك أن الاستثمار في مؤسساتها وتغيير منظورها للعديد من السلوكيات وانفتاحها على اقتصاد التراث، من شأنه أن يعيد لمؤسساتها بريقها وامتدادها وإشعاعها.

3.3.3- تأهيل الاقتصاد المحلي: يعتبر البوابة الأساسية للتجديد الحضري، خاصة وأنه لا يمكن أن نتصور تجديد حضري بدون تنمية اقتصادية. فإعادة الاعتناء بالبنيات التحتية المترهلة، من طرق ومنشآت معمارية، وتسهيل عملية الولوج إلى كل الأماكن التي يمكن أن تستقطب السياح من خلال إحداث الطرق والمسالك وتنظيم عمليات التشوير وتوفير مواقف للسيارات، والاعتناء من جديد

بمنتوجات الرستاق على كترتها بالمجال،[21] وإعادة الاعتبار لأشجار الزيتون، وتأهيل معاصر الزيت...الخ، تعتبر مدخلا أساسيا لحلحة المشاكل التي تعاني منها الحاضرة.

خلاصة

يتضح مما سبق أن مدينة المولى إدريس زرهون بتاريخها العريق وتراثها المتميز يمكن إن هي استغلت بشكل عقلاني ومنظم، وإن هي راهنت على التراث وتأهيل مجالها الحضري، أن تتجاوز حالة الأزمة التي تحد من ديناميتها. لكن وفي ظل مجموعة من المثبطات فإن عملية التأهيل لا بد أن تكون موضع إجماع كل الفاعلين في المجال.

يقتضي التخطيط الحضري للمدينة وضع تصاميم تهيئة تراعي الخصوصية المجالية المتمثلة في غياب الفضاءات الممكن التوسع على حسابها بالنسيج الداخلي، وضيق الأزقة والدروب، والبحث عن مجال أرحب يمكن أن يستوعب التزايد العمراني على بطء وثيرته ويراعي التقليل من الضغوطات التي يعانيها التراث العمراني، وتوفير بنيات اقتصادية قادرة على استيعاب العمالة المحلية.

إلى جانب ذلك كله يبقى التنسيق بين تطلعات كل شرائح المجتمع الزرهوني وأطيافه أمرا ضروريا للخروج بتصور متوافق عليه يصب في مصلحة المدينة، وينبغي التأكيد في هذا الصدد على أن التغيير يجب ألا يتخذ دريعة للقضاء على ما تبقى من تراث، بل يجب البحث في إطار التغيير عن آليات وأدوات تنطلق من المحافظة على التراث واستيعاب فوائده، واعتماده لخلق الثروة وتجاوز الهشاشة.

البيبليوغرافية

- **ابن غازي العثماني، (1988)**، «الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون»، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية. ص. 13.
- **بشرى سبتي، (2014)**، «تنظيم المجال والبعد الايكولوجي للمدينة»، مجلة التراب والتنمية، العدد الأول، منشورات كلية الآداب ظهر المهراز، فاس، ص. ص. 117- 123.
- **تيري فلو، (2007)**، «الاقتصاد الإبداعي»، سلسلة عالم المعرفة، الصناعات الإبداعية، عدد: 338.
- **عبد الحكيم بن عاشور، (2014)**، «المشروع الترابي لكتلة زرهون ومساهمة نظم المعلومات الجغرافية في بنائه»، أطروحة دكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، فاس.
- **عبد الحكيم بن عاشور ومحمد أبهرور، (2015)**، «كتلة زرهون بين اكراه تدهور البيئية المحلية ورهان استدامة الموارد الطبيعية»، مجلة دراسات وأبحاث في التاريخ والجغرافية، منشورات الكلية متعددة التخصصات بتازة. ص. ص. 161-179.

[21]- هناك العديد من منتوجات الرستاق التي تزخر بها الهوامش المباشرة للمدينة، ولعل من أهمها البرقوق (البلينسي/المليص) والزفزوف، وبعض الأنواع النادرة من التين.

- **عبد الرحمان الدكاري، (2013)**، «التظاهرات الدينية والثقافية الدخيلة بالمجالات التقليدية المتأزمة ومحدودية التنمية»، نموذج كتلة زرهون. منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو. حول موضوع: المواسم و المهرجانات فضاءات لتثمين الموروث الثقافي، أشغال الدورة الرابعة و العشرون، ص 135-159

- **عبد الرحمان الدكاري وعزيز بن الطالب، (2011)**، «التراث المعماري بكتلة زرهون بمقدمة جبال الريف. الذاكرة المجالية ومظاهر التحول». مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية المحمدية، العدد 16، 2012-2013-2014، ص. ص. 57-82.

- **عبد الرحمان الدكاري و عبد المجيد هلال و سعيد بوجروف، (2014)**، «تدبير الشأن الجهوي بالمغرب: دور النخب وإشكالية الحكامة الجيدة». في: الجهوية المتقدمة بالمغرب: الحكامة الترابية ورهان التنمية المحلية. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس سايس، سلسلة الندوات رقم 34، ص. ص. 277-308.

- **مارمول كربخال، (1988-1989)**، «إفريقيا»، الجزء الثاني والثالث، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط.

- **Dominique B. (2006),** «Le renouvellement urbain en France: du traitement morphologique à l'intervention sociale». HAL Id: halshs-00121821. https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-00121821

- **DRESCH J. (1930),** «Le massif de Moulay Idriss», étude de géographie humaine. Annales de géographie. p. 510.

- **MAKDOUN M. (2008),** «Essai sur les potentialités touristiques du Massif du Zerhoun». Texte manuscrit, p. 20, inédit.

- **BERTHIER P. (1938),** «Essai sur l'histoire du massif de Moulay Idriss, de la conquête musulmane à l'établissement du protectorat français». Ed, Félix MANCHO, Rabat, p.104.

- **TERRASSE H. (1938),** préface du livre de BERTHIER P. Essai sur l'histoire du massif de Moulay Idriss, de la conquête musulmane à l'établissement du protectorat français. p.11.

- **Wahbi D. (1984)**, «Moulay Idriss Du Zerhoun: Evolution d'une petite ville traditionnelle en crise», Thèse de 3ème cycle, Géographie, Université de Tours.